وأما ابن تيمية فقد أحبه الذهبي وأعجب به أيما إعجاب، ومدحه مدحاً عظيماً ومما قاله: وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته، فلو حُلِّفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم.

وهذا الصلة التي كانت بين هؤلاء الرفقة، وما اختطوه لأنفسهم من الدفاع عن عقيدة السلف ومحاربة البدع والخرافات أدَّت في كثير من الأحيان إلى إيذائهم والتحامل عليهم بما ليس فيهم، وقد أوذي المزي بسبب ذلك، وحُرم الذهبي بسبب آرائه من تولي أكبر دار للحديث بدمشق وهي دار الحديث الأشرفية.

وكان الإمام الذهبي دائم التنبيه على عدم جدوى علم الفلسفة والمنطق؛ لأنه كان يرى أنه لا نفع فيهما، وأنهما ليسا من علوم الدين.

آثار الإمام الذهبي ومصنفاته:

كانت حياة الإمام الذهبي حافلة بالعطاء، فخلَّف بعده ما يربو على مئتي مؤلَّف، في فنون التاريخ والسيرة والتراجم والعقائد ومصطلح الحديث وغيرها، وهذه تذكرةٌ ببعض مؤلفاته:

ففي القراءات ألَّف: التلويحات في علم القراءات.

وفي الحديث: الأربعون البلدانية، والكلام على حديث الطير.

وفي مصطلح الحديث: الموقظة في مصطلح الحديث.

وفي العقائد: العلو للعلي الغفار، والكبائر، وأحاديث الصفات، والعرش.

وفي أصول الفقه: مسألة الاجتهاد، ومسألة خبر الواحد.

وفي الفقه: تحريم أدبار النساء، وجزء من صلاة التسبيح.

وفي الرقائق: جزء في محبة الصالحين، ودعاء المكروب، وكشف الكربة عند فقد الأحبة.

وفي التاريخ والتراجم: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وتذكرة الحفاظ، والعبر في خبر من غبر.

وقد اختصر كثيراً من الكتب، وهذه المختصرات لم تكن اختصارات عادية يغلب عليها الجمود والنقل، بل إن المطّلع عليها الدارس لها بروية وإمعان يجد فيها إضافات كثيرة، واستدراكات بارعة، وتصحيحات وتصويبات لمؤلف الأصل إذا شعر بوهمه أو غلطه، فهو في الحقيقة اختصار مع سدٍّ نقصٍ وتحقيق ونقد وتعليق وتدقيق، ومن هذه المختصرات: